

المؤتمر العلمي الدّوليّ الثاني
بناء الإنسان في تصوّر الإسلاميّ بين الواقع والمأمول
١٢-١٣ رجب ١٤٤١

أثر الإيمان في سلامة التّصوّر واستقامة السلوك

كتبه
د. فيصلُ بن سيّد محمّد بن حميد بن حسن بن يوسف
مدرّس الحديث
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الله قد فطر الإنسان على معرفته وتوحيده، وعلى محبته وقصده، وجعل ذلك من جملة ضروراته العقلية والنفسية، التي يولد بها، ولا يتكلف اكتسابها بنظرٍ أو معالجة. ثم أوحى إليه العقائد الصحيحة وسنّ له الشرائع القويمية، التي توافق تلك الخلقة، وتوفي بجاداتها، بحيث تتكامل الفطرة والديانة: فالفطرة مستعدة لقبول العقيدة والشرعية، بل متطلبة لهما، لا يسد جوعها غير الإيمان والإسلام، والأخبار والأحكام الدينية مناسبة للفطرة، مكملّة لها، لم تجئ بما يعترضها أو يبطلها.

فتضافر بذلك الخلق الكوني والأمر الشرعي في بناء شخصية المسلم سوية: لا تنافر علومه ومعارفه الدينية ضرورياته العقلية، ولا أفعاله وأقواله الشرعية أخلاقه الضرورية، ولا غرّو؛ إذ كان الخالق والشارع هو الله وحده، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف].

وبذلك تطيب حياة الإنسان المسلم، ويقوى على ما خلق لأجله من عبادة الله، وعلى ما يعين على ذلك من عمارة الأرض.

وانطلاقاً من هذه الثوابت الدينية، والمشاهدات اليقينية، كان هذا البحث في كيفية تأثير الإيمان الصحيح في حسن بناء شخصية المسلم، بعنوان:

"أثر الإيمان في سلامة التصوّر واستقامة السلوك"

هذا، وأسأل الله أن يعين على الوفاء ببحث هذا الموضوع: تحقيقاً وتوضيحاً، وأن ينفع به كاتبه وقارئه؛ إنه - سبحانه - الموفق والهادي.



أهميّة البحث وأهدافه:

تظهر أهميّة هذا الموضوع في تجليته لحقيقة من حقائق الإيمان بالله، وجملة من مقاصده، وأنه ليس تكليفاً مجرداً، ولا ابتلاءً محضاً، بل هو كرامة للإنسان، يزكي به الله من التزمه، وعمل بمقتضاه، ويصلح به ذاته وعقله وعمله.

ويتأكّد بذلك مسائل عظيمة.

□ فمنها: تقرير أهميّة الإيمان الصحيح في البناء المعرفيّ والنفسيّ للإنسان، بالبرهان الواضح، والتعليل المنطقيّ، لا بمجرد الدعوى: التي تُمكن كلّ أحد.

□ ومنها: بيان كيفية تأثير الإيمان في صحّة التصوّر من جهة، وفي استقامة السلوك من جهة أخرى، وذلك بشرح كيفية اقتضاء الإيمان لثمراته من العلم النافع والعمل الصالح، وكيفية اعتماد العلم الصحيح والعمل الصالح على قاعدة الإيمان المتينة.

□ ومنها: ردّ الصورة النمطيّة، التي يجهّد الإعلام الموجّه من أعداء الإسلام إلى إصاقها بالمسلم المستمسك بدينه: أنّ إسلامه يعوق تقدّمه العلميّ، أو يدفعه إلى الإرهاب والإفساد، بل يُثبت البحث بالدليل الواضح أنّ الإسلام شرطٌ في صحّة التصوّر، وداعٍ إلى استقامة السلوك.



خُطّة البحث:

اقتضى النظر، وضبطُ مسائل البحث، وبلوغُ أهدافه - تقسيمه إلى تمهيدٍ وأربعة مباحثٍ وخاتمةٍ، وذلك كما يلي:

- التمهيد: شرح علاقة الإيمان بالمكوّنات النفسيّة للإنسان، وفيه أربعة مطالب.
- المبحث الأول: صياغة الإيمان لشخصيّة الإنسان، وفيه أربعة مطالب.
- المبحث الثاني: أثر الإيمان في صحّة التصوّر، وفيه توطئة، وثلاثة مطالب.
- المبحث الثالث: أثر الإيمان في استقامة السلوك، وفيه توطئة، وثلاثة مطالب.
- المبحث الرابع: أثر صحّة التصوّر وسلامة السلوك في بناء شخصيّة المسلم، وفيه توطئة، وثلاثة مطالب.

□ الخاتمة، وفيها أهمُّ النتائج والتوصيات.

ثمّ ذيلُته بنبّاتٍ للمصادر والمراجع، وكشّافٍ للآيات الكريمة، وآخر للأحاديث النبويّة الشريفة، وفهرسٍ للموضوعات.



التمهيد: علاقة الإيمان بالمكونات النفسية للإنسان

المطلب الأول: تعريف الإيمان في اللغة والشرع.

الأمن في اللغة: طمأنينة النفس، وزوال الخوف،^(١) يقال: (أَمِنَ، يَأْمَنُ، أَمْنًا).

ثم يُعَدَّى بالهمزة؛ فيقال: (أَمِنَ، يُؤْمِنُ، إيمانًا)؛ فتنوّع معانيه.

فإن تعدّى بنفسه، فمعناه: جَعَلَ الأَمْنَ لغيره،^(٢) كما قال تعالى: ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قریش]؛ وإلا، فمعناه: دَخَلَ في الأَمْنِ، أو صار ذا أَمْنٍ،^(٣) ثم قد يتعدّى باللام، فيُضَمَّنُ معنى الانقياد،^(٤) كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، أو معنى التصديق مع الإطمئنان، أي: الائتمان والأمانة،^(٥) كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف]، وقد يتعدّى بالباء، فيُضَمَّنُ معنى الإقرار والتسليم، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ [القصص: ٥٣]، وقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٩].

والحاصل أنّ الإيمان ليس مجرد التصديق، بل له معانٍ، وقد يُراد به التصديق، لكنّه حينئذٍ تصديقٌ خاصٌّ، وهو التصديق المقرون بالأمن؛^(٦) قال شيخ الإسلام: ^(٧) «فهو يقتضي طمأنينةً وسكونًا فيما من شأنه أن يستريب فيه القلب ويخفق ويضطرب، وهذا إنما يكون في الإخبار بالمغيبات، لا بالمشاهدات».

والإيمان بهذا المعنى يتضمّن تحقيق القلب، ورضاه، وتصديق اللسان، وعمل الجوارح بمقتضاه.^(٨)

وهذا هو الإيمان المأخوذ في الشرع، فهو قولٌ وعملٌ،^(٩) قولُ القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، وقد سمّى الله العملَ (إيمانًا)، فقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم.^(١٠)

ولا غَرَوْ؛ فإنّ حقيقة العبادة والطاعة: أنّ المسلم يدخل بها في الأمن، ويصير بها ذا أَمْنٍ، ويُقَرَّ فيها بحقّ الله، ويقبله، ويرضى به.

(١) انظر "المفردات" (ص ٩٠).

(٢) انظر "المفردات" (ص ٩١).

(٣) انظر "المفردات" (ص ٩١).

(٤) انظر "التسهيل" (٣: ٤٦٨).

(٥) انظر "مجموع الفتاوى" (٧: ٢٩٢).

(٦) انظر "المفردات" (ص ٩١).

(٧) "شرح الأصبهانية" (ص ١٩٧).

(٨) انظر "المفردات" (ص ٩١).

(٩) انظر "أصول السنة" للإمام أحمد (ص ٣٤).

(١٠) "تفسير السمعاني" (١: ١٥٠).

فصار الإيمان في الشرع هو الإيمان بالله: قولاً وعملاً؛ فيصدق على الدين كله: ظاهراً وباطناً، وقد يقترن بـ(العمل الصالح)، فيختص بالإيمان الباطن: الذي هو قول القلب وعمله.



المطلب الثاني: تعريف الفطرة، وعلاقتها بالإيمان.

الفطر في اللغة: الشقُّ،^(١) ويقال للخلق المبتدأ،^(٢) كأنه - جل شأنه - شقّ العدم عن المخلوق؛ فأظهره إلى الوجود.

والفطرة هي هيئة الشيء عند فطره، أي: حالته التي خلق عليها أولاً.^(٣) وتقول العرب: (خبزٌ فطيرٌ) إذا خُبز عجينه من ساعته، ولم يُترك ليتخمر،^(٤) فقول إنّ الفطرة مأخوذة من هذا المعنى؛^(٥) فهي حالة المرء الأولى، التي جُبِل عليها، قبل أن يتغيّر عنها.

وعلى كلّ، فالفطرة: هي الجبلة،^(٦) والطبيعة التي خلق الله الناس عليها، بما فيها من قوى علمية ونفسية.

وذكرت الفطرة في الشرع على معناها اللغوي، وهي - بلا شك - متضمنة لمعرفة الله، وتعظيمه، ومحبته، وقصده.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم]، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال ابن كثير: ^(٧) «قال قائلون من السلف والخلف إنّ المراد بهذا الإِشهاد إنّما هو فطرهم على التوحيد».

-
- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) انظر "المفردات" (ص ٦٤٠). | (٥) انظر "المفردات" (ص ٦٤٠). |
| (٢) انظر "لسان العرب" (١٠: ٨٥). | (٦) انظر "لسان العرب" (٥: ٥٨). |
| (٣) انظر "القاموس المحيط" (ص ٤٥٧). | (٧) "تفسير القرآن العظيم" (٦: ٤٤٧). |
| (٤) انظر "الصِّحاح" (٢: ٧٨٢). | |

وقال النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم: «كلّ مولودٍ يولد على الفطرة»،^(١) قال المبارك بن الأثير: ^(٢) «المعنى أنّه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين؛ فلو ترك عليها، لاستمرّ على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها، وإنّما يعدل عنه من يعدل لأفة من آفات البشر والتقليد».

وقال ابن أبي العزّ الحنفي: ^(٣) «الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها من يفسدها، كانت مقرّة بالصانع عابدةً له».



المطلب الثالث: تعريف العقل، وعلاقته بالإيمان.

العقل في اللغة: الحبس والإمساك،^(٤) يُقال: (عَقَلَ البعير) أي: شَدَّ وَظَيَّفَهُ إلى ذراعه؛ فحَبَسَهُ عن المشي.^(٥)

ومن ثَمَّ أُطلق اسم (العقل) على القوّة المُدرِكة،^(٦) التي يكتسب بها الإنسان العلوم والمعارف، ويمتاز بها عن البهائم؛ لأنّها تمنع صاحبها من الجهل والفسف. ^(٧) ولذلك سُمِّيت هذه القوّة أيضًا (نُهيّة)؛ لأنّها تنهى عن القبيح،^(٨) و(جِجْرًا)؛ لأنّها تمنع من إيتيان ما لا ينبغي.^(٩)

والعقل بهذا المعنى صالحٌ لمعرفة التوحيد، وسائر العقائد الإسلاميّة، وفهم الشرائع، وإدراك كثيرٍ من حِكَمِها ومصالحِها، بل هو شرط الخطاب الشرعيّ، الذي لا يصحُّ بغيره. وليس في الإسلام عقيدةٌ ولا شريعةٌ - ما يعارض العقل أصلًا، وإنّما فيه ما يوافق العقل، وما يفهمه العقل، وما يحتاجه الإنسان ولا يستقلُّ العقل بإدراكه، كصفات الله الخبريّة، وأُشْرَاطُ الساعة، وأحوال البعث، وتفاصيل الثواب والعقاب.

(١) أخرجه البخاريّ (٢: ١٠٠) ومسلم (٨: ٥٢). (٦) انظر "القاموس المحيط" (ص ١٠٣٣).

(٢) "النهاية" (٣: ٤٥٧). (٧) انظر "تاج العروس" (٣٠: ٢٠).

(٣) "شرح الطحاويّة" (١: ٣٥). (٨) انظر "الصّحاح" (٦: ٢٥١٧).

(٤) انظر "المفردات" (ص ٥٧٨). (٩) انظر "مقاييس اللغة" (٢: ١٣٨).

(٥) انظر "الصّحاح" (٥: ١٧٧١).

ويقال (العقل) أيضًا لبعض من العلوم الضرورية،^(١) التي تنشأ في الإنسان من غير كسب، ولا نظرٍ أو استدلالٍ، وهي اللبّات الأولى، التي تُبنى بها سائر العلوم والفنون. والعقل بهذا المعنى يوافق الإسلام أيضًا: عقائده وأحكامه؛ لأنّ دلائل الإسلام تنتهي إلى هذه الأوليات العقلية، وتعتمد عليها، ولا تناقضها، ولا تناقض لوازمها، ولأنّ أحكامه بُيّت على ما يقتضيه العقل: استحسانًا واستقباحًا.

وربما أُطلق (العقل) على شيء من العلوم النظرية، كما يسمّي المتكلّمون أصولهم الفلسفية (عقلًا)، مع اختلافهم فيها، وليس هذا العقل المراد في الشرع: لا المشروط في تعلّق الخطاب، ولا المأمور بإعماله واتّباع مقتضاه، بل إنّ كثيرًا ممّا يدخل في ذلك باطلٌ في نفسه، مخالفٌ للعقل الأولي، فضلًا عن الفطرة والشرع.

وفي الجملة: فالعقل الأولي معيارٌ للنظر، فبه يميّز الإنسان الحقّ من الباطل، وبالعلوم الأولية يزن الأخبار والأحكام، والطعن في العقل بهذين المعنيين يهدم النظر بالكلية، ويُفسد جميع العلوم والمعارف.



المطلب الرابع: تعريف الأخلاق، وعلاقتها بالإيمان.

الخُلُق في اللغة: التقدير،^(٢) وعليه تدور غالب مفردات المادّة. وسُمّيت السجايا النفسية (أخلاقًا)؛ لأنّ المرء يُقدّر عليها، أي: يُطبع عليها، ويُخلق بها، وذلك غالبًا، وقد تحصل بالدُرّة أحيانًا.

ومفردها (الخُلُق) بالضمّ و(الخُلُق) بضمّتين.^(٣)

وقيل في تعريف الخُلُق إنّهُ الصورة الباطنة للإنسان،^(٤) التي هي هيئاته النفسية. وتنقسم الأخلاق إلى محمودة ومذمومة، وغالب استعمال لفظ (الخُلُق) عند الإطلاق في المحمودة؛ فإذا قيل: (فلانٌ على خلقٍ)، تبادر أنّه خُلُقٌ حسنٌ، وهو المراد في هذا البحث.

(١) انظر "أصول الفقه" لابن مفلح (١: ٣٥).

(٣) انظر "تاج العروس" (٢٥: ٢٥٧).

(٢) انظر "مقاييس اللغة" (٢: ٢١٣).

(٤) انظر "النهاية" (٢: ٧٠).

وقد عُنِيَ الإسلام بالأخلاق، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّما بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

ولذلك جاءت عقائد الإسلام جاريةً على وفق القانون الأخلاقيّ؛ فصفات الله، وأقواله، وأفعاله، وقصص أنبيائه، وأحوال أوليائه - كلّها تأتلف مع ما تستحسنه النفوس السويّة من الفضائل والكمالات.

وكذلك جاءت الشرائع؛ فبنيت على القانون الأخلاقيّ؛ فلم يأمر الله إلّا بما هو معروف، وهو ما تألفه النفوس، وتميل إليه، وتستحسنه العقول لمصالحه، ولا نهى إلّا عمّا هو منكّر، وهو ما تكرهه النفوس، وتنفر منه، وتستقبحه العقول لفساده، ولا أحلّ - سبحانه - إلّا ما هو طيّب، وهو النافع الذي تستلذه النفوس، ولا حرم إلّا ما هو خبيث، وهو الضارّ الذي تشمئزّ منه النفوس.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والحاصل أنّ الدين الإسلاميّ عُنِيَ بالأخلاق، وتكميلها؛ حتّى يكون المسلمون على أحسن صورةٍ وأجملها؛ فاصطبغت عقائده وأحكامه بالأخلاق الكريمة.



(١) أخرجه البخاريّ في "الأدب المفرد" (١):

(١٤٣)، وصحّحه الألبانيّ في "سلسلة

الأحاديث الصحيحة" (١: ١١٢).

المبحث الأول: صياغة الإيمان لشخصية الإنسان

المطلب الأول: كيفية تأثير الإيمان في صياغة الإنسان.

ليس الإيمان بالله - عز وجل - في دين الإسلام مجرد مخزون معرفي دفين في صدر خرب، بل هو روح تسري في قلب حي، ينبض بالصدق والمحبة والخوف والرجاء، ويخرج على اللسان والجوارح في صورة الأقوال الطيبة والأعمال الصالحة.

وقد أكدت النصوص هذه الحقيقة، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم]، وهي شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها الذي في السماء هو عمله الصالح،^(١) ثم قال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم]، وهي شجرة النفاق، لا أصل لعمل المنافق في قلبه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَلَا، إِنَّ فِي الْجَسَدِ مِضْعَةً إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا، وَهِيَ الْقَلْبُ»،^(٢) وصلاح القلب بالإيمان الباطن، المستمكِن منه، وفساده بخُلُوه من ذلك، وامتلائه بضده من أنواع الفسوق والكفر.

وذلك أن الإيمان يشكل مفاهيم المسلم الأوليّة تشكيلاً صحيحاً: يوافق حقيقة الخلق ومقاصده ومآلاته، ثم يرى المؤمن ما حوله من خلال هذه المفاهيم المستقيمة رؤية واضحة؛ فيستحسن الحسن، ويستقبح القبيح.

فإذا تم ذلك، تحرّك قلبه - ولا بُدَّ - إلى حب ما استحسنه من الفضائل والسكون إليها، وإلى كره ما استقبحه من الرذائل والنفور منها، ثم تتجّه إرادته على وفق ذلك؛ فتبتعث نفسه إلى طلب ما أحبه من الخير والصلاح: الذي شرعه الله ورضيه، وتكفّها عما كرهه من الشر والفساد: الذي منعه الله وسخطه؛ فيستقيم على مراد الله جلّ جلاله، الذي هو الحق المطلق، والخير المطلق، والصلاح المطلق.

وفي المطالب التالية مزيدٌ بسطٍ لكيفية تأثير معاني الإيمان في صياغة شخصية الإنسان، وتقويمها.



(٢) أخرجه البخاري (١: ٢٠) ومسلم (٥: ٥٠).

(١) انظر "تفسير ابن كثير" (٨: ١٩٥).

المطلب الثاني: معيارية الإيمان في النفس.

الإيمان في نفس المسلم معيارٌ للحقيقة، وميزانٌ يقيس به المقالات، ومَرَجِعٌ يَفْزَعُ إليه عند الاحتمالات.

وذلك لقوّة يقينه بمسلماته الدينيّة؛ لكونها فطريّةً غائرةً في النفس من جهة، ولتضافر الأدلّة العقلية الواضحة عليها من جهةٍ أخرى، حتّى قويت في القلب، وتمكّنت منه، وامتنعت على الشكّ، وصارت أثبت في النفس من كلّ حقيقةٍ أخرى.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقال: ﴿ذَلِكَ أَلِكْتَبُ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

وبذلك صار للإيمان تأثيرٌ عظيمٌ في تكوين مفاهيم المسلم ومبادئه صحيحةً، سالمةً ممّا يخالف أصول الدين من الخرافات والضلالات، وهذا - كما سبق - يصوغ مفاهيم المسلم ومبادئه: التي هي العلة الأولى في توجيه مقاصده، وتحريكه في طلبها.



المطلب الثالث: غائية مقاصد الإيمان.

لما كان للإيمان القيمة الكبرى في نفس المسلم، كانت مقاصده غاياته: التي ينتهي إليها نظره، وما سواها من المقاصد وسائل تعين عليه، وتتدرّج إلى مقاصده.

وبذلك يصير للمسلم همٌّ في حياته، يجهّد في سبيله، وأهداف سامية يسعى إلى تحقيقها، وقد مدح النبيّ - صلى الله عليه وسلم - ذلك، فقال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مُعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»^(١).

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" (٣: ١٣١)،

وصحّحه الألباني في "سلسلة الأحاديث

الصحيحة" (٤: ١٦٨-١٧٠).

وأيضًا، فمقاصد الإيمان إنّما هي مقاصد الله في خلق الإنسان، فالمسلم يدرك بذلك الحكمة من وجوده في الحياة، والمصير الذي ينتظره بعد الموت؛ فيجري في الحياة على رؤية واضحة، ويرتّب أولوياته بحسب إفنائها إلى الحكمة من خلقه، وإعانتها على صلاح آخرته. وبهذا يرتفع الإيمان بالإنسان عن حياة البطالة واللّهو، وعن الوقوف عند الأهداف الحقيرة؛ ليُشَمَّر عن ساق الجدّ، ويسعى إلى ذرى المجد.



المطلب الرابع: قوّة الدافع الإيمانِي في العقائد والأعمال.

الإيمان بالله - عزّ وجلّ - في الإسلام قويّ الإيجاب لِلِوَاظِمَة؛ لأنّه يقتضي استغراق محبة الله للقلب، حتّى لا يبقى فيه محلّ لقصد غيره، وهذا معنى إخلاص الدين لله، ومعنى النصيحة له، ومعنى تحقيق توحيده، بل هو معنى الإسلام أصلًا.^(١)

ولا شكّ أنّ المقتضي إذا كمل ولم يعترضه ضدّ، نفّذ في مقتضاه، وأوجب لوازمه إيجابًا قويًّا، بخلاف المعتقدات التي تملك من قلب معتقديها شيئًا، وتدع شيئًا يحلّه غيرها، فإنّ إفضاءها إلى لوازمها قد يضعف، بل قد يبطل.

ومعنى إيجاب الإيمان لِلِوَاظِمَة أنّه يدفع المؤمن بقوة إلى لوازمه؛ فيزيد ثباته على معانيه القلبية، ويزيد حماسه على العمل الصالح؛ فحينئذ لا يقف في وجهه معترض، ولا يعوقه مانع، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد]، فالإقتحام: الدخول بشدّة ومشقّة،^(٢) والعقبة: طريق وعرّ في الجبل،^(٣) وهي عبارة عن الأعمال الصالحة؛ لثقلها على النفوس.

وهكذا رأينا من تحقّقوا بالإيمان في قوّة اندفاعهم إلى الحقّ، وسير النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه شواهد صدق ناطقة بذلك.



(٣) انظر "التفسير البسيط" (٢٤: ٢٤).

(١) انظر "النبوّات" (١: ٣٤٦-٣٥١).

(٢) انظر "التسهيل" (٤: ٦٩٢).

المبحث الثاني: أثر الإيمان في صحّة التصوّر

توطئة: معنى التصوّر، وفائدة صحّته في تحقيق مقاصد الخلق.

الصورة: الشكل، والهيئة، والحقيقة، والصفة.^(١)

وللتصوّر معنيان، فيؤخذ من قولهم: (صوّرتُ الشيء؛ فتصوّر)، أي: فتشكّل على الهيئة التي قدرتها،^(٢) ومن قولهم: (تصوّرتُ الشيء) أي: توهمته،^(٣) بمعنى رسمتُ صورته في وهمي، أي: في ذهني، والمعنى: تخيلته، وتعقلته.

وهذا الثاني هو المقصود في هذا المقام، وهو صادق على المعارف مطلقاً، وهو أعم من معنى التصوّر عند المناطق.

والتصوّر بهذا المعنى الواسع مهم في صياغة مواقف المسلم؛ إذ الحكم على الشيء - كما قيل - فرع عن تصوّره؛ فإذا تصوّر الإنسان الشيء تصوّراً صحيحاً، أمكنه أن يقف منه موقفاً صحيحاً، والعكس بالعكس.

والإيمان بالله - جلّ جلاله - يتضمّن تصوّراتٍ صحيحةً لأهمّ القضايا الوجوديّة والأوليّة: التي توجّه الإنسان؛ فيتّجه الإيمان بنظر المسلم إلى تحقيق الصواب في علومه ومعارفه، وإلى إقامة العدل في أحكامه ومواقفه.

وبذلك يستقيم على المقصد من خلقه؛ فإنّه إذا تصوّر حقّ الله عليه، وفاقته إليه، تعلّق به سبحانه، وإذا تصوّر حال من دونه، وضعّفه في نفسه، تحرّر منه؛ فلم يلتفت إليه، وبذلك يألّه الله وحده؛ فيحقّق توحيدّه، ويكمل إسلامه.

وفي المطالب التالية بيانٌ لتأثير الإيمان في تصحيح تصوّر المسلم للوجود، وللطبيعة من حوله، ولنفسه؛ حتّى إذا استقامت بصحة هذه التصرّوات علومه ومعارفه، صحّ ما ينشأ عنها من أحكام ومواقف، وبالله التوفيق.



(٣) انظر "الصّحاح" (٢: ٧١٧).

(١) انظر "تاج العروس" (١٢: ٣٥٧).

(٢) انظر "تاج العروس" (١٢: ٣٥٧).

المطلب الأول: أثر الإيمان في صحة تصوّر الوجود.

الإيمان بالله - جلّ شأنه - يتضمّن الإيمان بكتابه، وشريعته، والسنة التي أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر الله في كتابه منشأ الإنسان، والحكمة من خلقه، والمصير الذي ينتهي إليه، وبنى شرائعه على وفق ذلك، وفصل النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه المسائل، وبينها أتمّ البيان. فالإيمان يتضمّن العلم بهذه الأمور العظيمة؛ فيطمئنّ قلب المسلم في فهم الوجود من حوله، ويتوقّر عقله بعد وجهده على البحث عما ينفع الحياة ويصلحها، بخلاف من عديم هذه الحقائق الإيمانية؛ فأجهّد عقله وضيع جهده في البحث عنها في غير مظانّها، حتّى تاه في طرق النظر؛ فبقي عمره في حيرة، ومات على شكٍّ أو باطل.

وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٤ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرًا فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٦ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٧﴾ [المؤمنون].

فالمؤمن يعرف بهذه الآيات منشأه، وكيفية خلقه؛ فيعرف لربه حقّه، ويشكره على فضله، ويعرف أنّ بعثاً ينتظره بعد الموت؛ فيستعدّ له، ويرعاه في أقواله وأفعاله.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٦١ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۝٦٢ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٦٣﴾ [الذاريات]، فالمؤمن يدرك بهذه الآيات المقصد الإلهي من خلقه، والحكمة المرادة من وجوده؛ فيسعى في تحقيقها، ويجعلها محور حياته، على حدّ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٧ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٨﴾ [الأنعام].

وقال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ۝٣٩ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۝٤٠ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ۝٤١ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝٤٢ وَعَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٤٣ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝٤٤ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٥ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝٤٦﴾ [النازعات]، وهذه الآيات وما في معناها - تدلّ المؤمن بها على ما بعد الموت من البعث والحساب والثواب والعقاب؛ ليستعدّ لذلك، ويعمل لنجاة نفسه.

المطلب الثاني: أثر الإيمان في صحّة تصوّر الطبيعة وقوانينها.

الإيمان بالله - تبارك وتعالى - يتضمّن الإيمان بكونه خالقاً للعالم على أحسن الوجوه، كما قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿١﴾ [المُلْك].

وهذه الحقيقة هي الضامن لاستقرار الطبيعة، ولانتظام قوانينها، حتّى يستثمر الموقن بها نتائجها في استنباط العلوم، وبناء المعارف. وذلك بخلاف من عَدِمَ ذلك اليقين، فلن يمكنه الإطمئنان إلى ثبات الطبيعة واطراد أحكامها، إلّا بالاعتماد على جريان العادة، الذي لا يوجب العقل استمراره، أو بالتحكّم، الذي لا يثلج القلب، ولا يُريح النفس، أو بالتكلّف العسير: الذي يستغرق العقل، ويصرف الجهد عمّا هو أولى.

وأيضاً، فالإيمان بالله - عظمت نعمته - يتضمّن الإيمان بكونه ملّك الإنسان الدنيا وما فيها، وسخرها له، وأنّ عليه شكر ذلك بالإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ [البقرة]، وقال: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿البقرة﴾.

وهذه الحقيقة الإيمانية تعطي المسلم الحقّ في الانتفاع بالكون من حوله، واستثماره في منفعته، وتُعرّفه بحقّ الله عليه في ذلك من الشكر والعبادة؛ فينطلق في عمارة الأرض، واستخراج خيراتها، والتنعم بها - من غير حرج، ولا قلق، ويشعر في كلّ ذلك بنعمة الله عليه؛ فيشكره صادقاً من قلبه، ويعبده موحّداً له؛ لتقرّده بالإنعام والإحسان.

ومن لم تحصل له هذه الحقيقة من جهة الإيمان، لم تحصل له من جهة أخرى؛ فبقي متحيّراً: بين أن ينكفّ عن الاستفادة من كثير من الخيرات حوله؛ لعدم المسوّغ الذي يستبيحها به، وبين أن يهجم عليها من غير تفسير أخلاقيّ يسوّغ به انتهاكها، واستئثاره بها.

وهو في كلّ ذلك مَدِينٌ بشكر ربّه، الذي أمكنه من هذه الخيرات، ويقبّح به أن يفرط في ذلك، وقد روي في الحديث القدسيّ أنّ الله - عزّ وجلّ - قال: «إني والجنّ والإنس في نبيّ عظيم، أخلق ويُعبّد غيري، وأرزق ويُشكر غيري»،^(١) وقد روي عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - أنّه قال: «أحبّوا الله لما يَغْذُوكُم مِنْ نِعْمِهِ».^(٢)



المطلب الثالث: أثر الإيمان في سلامة التصوّر من الفساد.

الإيمان بالله - جلّ جلاله - مسلمةٌ فطريّةٌ، وحقيقةٌ عقليّةٌ: تعتمد على أدلّةٍ قويّةٍ، تتّصف بالكثرة، والتنوّع، والوضوح، والقطعيّة، وشواهدُ هذه الأدلّة من الكون والحيوان والنبات أكثر من أن تحصى، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝﴾ [الذاريات]، وقال: ﴿سَرِيرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾ [فصلت].

وعُنِيَ القرآن بالأدلة العقلية المقنعة في خطاب المشركين، في تثبيت التوحيد والنبوة والقرآن والبعث، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الزمر]، وحتّى كفى وشفى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [العنكبوت].

وعُنِيَ كذلك برّد شبّهاتهم في هذه الأبواب بالاعتراضات العقلية الكافية، كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۝﴾ [الأنبياء: ١٨]، وحتّى قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝﴾ [الفرقان].

وهذا الإبتناء المتين للإيمان يُورث المسلم طمأنينةً، ويوقفه على منهج التحري والتحقيق، ورفض الدعاوى المجردة من دليل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾

(٢) أخرجه الترمذي (٥: ٨٦)، وحسنه، وضعفه

الألباني في تحقيق "المشكاة" (٣: ١٧٤٢)،

(١) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٦):

(٣١٠-٣١١)، وضعفه الألباني في "سلسلة

الأحاديث الضعيفة" (٥: ٣٩٣-٣٩٤).

[النمل]، وعدم التعويل على متابعة الآباء السالفين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة].

وبذلك يحفظ الإيمان عقل المسلم من الخرافات والضلالات: التي لا تستند إلى دليل صحيح، وهذا يحفظه من كثير من الانحراف في حياته، وفي بحثه العلمي أيضاً، في فهم الظواهر الطبيعيّة، وتقرير النظريّات، ووضع الافتراضات.

وكم عالم بالطبيعيّات انحرفت به عقيدته إلى تفسيرات بعيدة، منافرة للعقل الصحيح، أو منعتة من التفسير الصحيح، الذي يهدي إليه العقل الرجيح؟!!

ولأهميّة ذلك، كان حفظ العقل واحداً من الضروريّات الكلّيّة الخمسة: التي جاءت الشريعة بحفظها وتكميلها، ودفع أسباب الفساد والنقص عنها.



المبحث الثالث: أثر الإيمان في استقامة السلوك

توطئة: معنى الاستقامة، وأثرها في تحقيق مقاصد الخلق.

أصل (الاستقامة): استقامة الطريق، أي: كونها على خطٍ مُستَوٍ، ثم استعير لطريق الحق، كما قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]، أي: الطريق المستوية. فالاستقامة: الاعتدال،^(١) وهي ضدُّ العوج؛ فتقابل الانحراف، ومنه الانحرافُ إلى الغلو والتشديد، والانحرافُ إلى التفریط والتساهل.

ويوضح ذلك قولُ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: «يا معشرَ القراء، استقيموا؛ فقد سبقتُم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يمينا وشمالاً، لقد ضللتُم ضلالاً بعيداً». (٢)

وقال صَلَّى الله عليه وسلّم: «إنَّ الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، على كَنَفَي الصراط سورانٍ لهما أبواب مفتحة، على الأبواب سُتُورٌ، وداعٍ يدعو على رأس الصراط، وداعٍ يدعو فوقه، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس]، والأبواب التي على كَنَفَي الصراط حدودُ الله؛ فلا يقعُ أحدٌ في حدود الله حتَّى يكشف الستَر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربّه». (٣)

وخطَّ - صَلَّى الله عليه وسلّم - خطاً، وخطَّ خطَّين عن يمينه، وخطَّ خطَّين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: «هذا سبيل الله»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام]. (٤)

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]، فالقيَم هو المستقيم. (٥)

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الروم: ٣٠]، أي: استقم،^(٦) ثم قال: ﴿حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠]، أي: مستقيماً،^(٧) ثم قال: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، أي: المستقيم. (٨)

(٥) انظر "جامع البيان" (١٢: ٢٨٢).

(٦) انظر "تفسير السَّمْعَانِي" (٤: ٢١٨).

(٧) انظر "جامع البيان" (١٨: ٤٩٢).

(٨) انظر "جامع البيان" (١٨: ٤٩٦).

(١) انظر "الصِّحَاح" (٥: ٢٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٩: ٩٣).

(٣) أخرجه التِّرْمِذِي (٤: ١٢٩)، وحسنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١: ١٨٢)، وصححه

الألباني في "ظلال الجنة" (١: ١٣).

فهذه النصوص وما في معناها - وهو كثير - يدلّ على مكانة الاستقامة من الإسلام، وأنها من أخصّ صفاته.

وذلك أنّ الله خلق الإنسان مستعدّاً للإيمان، طالباً له، متّجّهاً إليه بفطرته وعقله، بحيث لو خلّي ونفسه، لآمن بالله وأسلم له، فإذا اتّجه إلى الإيمان فعلاً، فقد قصد إلى حيث ينبغي له، وكان مستقيماً على مقتضى فطرته وعقله، ولا ينحرف عن الإيمان إلّا كان قد اعوجّ عما تنحو إليه فطرته وعقله.

والحاصل أنّ الدين الإسلاميّ منهجٌ مستقيمٌ، يستقيم بالتمسك به على أحسن الأحوال والأفعال؛ فيكون معتدلاً في سلوكه، بعيداً عما يَشِينُه، وعماً يَقْبُحُ في الفِطْر السويّة والعقول الصحيحة؛ فلا يميل إلى غلوّ يحمله على الظلم والإفساد، ولا إلى تضييع يُقْعِدُه عن العدل والإصلاح.

وأمثل فيما يلي لصوّر من استقامة المسلم في تعامله مع الله جلّ شأنه، ومع الناس من حوله على اختلاف صفاتهم، ومع نفسه.



المطلب الأوّل: أثر الإيمان في استقامة السلوك في معاملة الخالق.

الإيمان بالله - عزّ وجلّ - يكون بالقلب: بالإقرار بوحْدانيّته، وإجلاله، ومحَبّته، وخوفه، ورجائه، والتوكُّل عليه، ونحو ذلك، وباللسان: بالشهادة له بالوحدانيّة، وبذكره، والثناء عليه بالكمالات المطلقة، ونحو ذلك، وبالجوارح: بالقيام له، والركوع، والسجود، والطواف ببيته، والذبح له، ونحو ذلك.

وبذلك يستقيم المسلم على ما خلقه الله لأجله من عبادته، وعلى ما يرضيه عنه، ويقتضي رحمته وثوابه.

وهذه الاستقامة في معاملة الله هي الصورة اللاتقة بالإنسان في مقابلة خلق الله له، وإيجاده من العدم، وفي أداء شكره على ما غمّره من النعم، وفي إلهته له لما أدهش قلبه من الكمال والجمال والعظمة.

وهذه الاستقامة هي أجلُّ صوّر الأخلاق الكريمة، التي يسمو بها الإنسان؛ فلا وفاء أحسن من وفاء العبد لربّه: الذي خلقه ورزقه، ولا حياء أجمل من حيائه من معيّته له، وبصره به،

وسمعه كلامه، ولا كرم أعظم من بذله في سبيله، ولا حرّية خالصة من رقّ البشر كحرّية الموحّد: الذي لا يشوب قصده طلب شيء من جهة الناس، إلّا رضا الله ورحمته. وأضداد هذه المعاني هي أرذل الأخلاق، وأقبح الأعمال، التي تمّجّها الفطر السليمة، وتتكبرها العقول الصحيحة.

وقد عاب الله المشركين بذلك، وقبح أمرهم، فقال: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ [الزخرف]، وقال: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الذي خلقك فسوّك فعدّلك] في أيّ صورة ما شاء ربّك [الإنفطار]، وقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات].



المطلب الثاني: أثر الإيمان في استقامة السلوك في معاملة الخلق.

أمر الله - تبارك وتعالى - بالإحسان إلى الخلق قولاً وفعلاً، فقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

وقد جمع الله - تعالى ذكره - أصول الفضائل في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل].

ورغب النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك، فقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»،^(١) وقال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ حسنٍ؛ فإن الله ليبغض الفاحش البذيء»،^(٢) وقال: «المسلم من سلّم المسلمون من لسانه ويده»،^(٣) وذكر أن كفّ المرء شرّه عن الناس صدقة منه على نفسه،^(٤) وقال: «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف، ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»،^(٥) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، بل متواترة.

(١) أخرجه أبو داود (٧: ١٨٠) والترمذي (٣: ١١) وأخرجه البخاري (١: ١١) ومسلم (١: ٤٧).
 (٢) (٣٦٠: ٢)، وصحّحه.
 (٣) أخرجه البخاري (٣: ١٤٤) ومسلم (١: ٦٢).
 (٤) أخرجه الترمذي (٣: ٢٤١)، وصحّحه.
 (٥) انظر "سلسلة الصحيحة" (١: ٧٨٧-٧٨٩).

وهذا - لا شك - يُحرّك نفس المؤمن بالله إلى الإمتثال؛ فيدفعه إلى حُسن معاملة الناس، حتّى يكون خيراً على من حوله، مباركاً على مجتمعه.

بل جاء الحثّ على الإحسان إلى البهائم أيضاً، فقد ذكر النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - رجلاً سقى كلباً، فشكر الله له، فغفر له، فقالوا: «يا رسول الله، وإنّ لنا في هذه البهائم لأجراً؟» فقال: «في كلّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».^(١)

وفي الجملة، فقد بعث الله النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - ليأمرَ بالمعروف، أي: بما تعرف النفوس حُسنه، والعقول نفعه، وينهى عن المنكر، وهو ما تُنكره النفوس لقبه، والعقول لفساده، فجاء بشريعة مبنية على ما رُكز في الفِطرة من الفضائل والمكارم، والسلامة ممّا رُكز فيها قبّحه وذمّه.

فحريّ بمن التزم هذه الشريعة أن يستقيم على مقتضيات الفِطرة والعقل، وأن يكون على أحسن الوجوه في معاملة الخلق.



المطلب الثالث: أثر الإيمان في استقامة السلوك في معاملة النفس.

الشريعة الإسلامية شريعة متوازنة، لا تهمل جانباً من الحياة، ولا تُطغي جانباً على جانب، بل تُنظّم الحياة على أكمل الوجوه وأحسنها.

قال سلمانُ الفارسيّ رضي الله عنه: «إنّ لربّك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً؛ فأعطِ كلّ ذي حقٍّ حقّه»، فذكر ذلك لرسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - فقال: «صدق سلمان».^(٢)

وهذا الحقّ هو إجمامها، والترويح عنها؛ لتقوى على مواصلة السير إلى الله، وعلى أعباء الحياة أيضاً.

وإنّ أعظم حقٍّ للنفس في الإسلام أن يسعى المرء في إصلاحها ونجاتها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝﴾ [الشمس]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

(٢) أخرجه البخاريّ (٣: ٣٨).

(١) أخرجه البخاريّ (٨: ٩) ومسلّم (٧: ٤٤).

وبذلك تتّزن شخصيّة المسلم؛ فلا هو يلهو مستغرقاً زمانه في الملذّات ثمّ يخسر الدنيا والآخرة، ولا هو الذي يُضَيّق على نفسه ويوغل في العبادة بشدّة حتّى ينقطع. كلاً، بل يأخذ حظه من اللهو المباح، ويستلذّ بالحلال: الذي أنعم الله عليه به، ويتقوى ببعضه على عبادته، ويجتهد فيما يرضي الله عنه، كما قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الفصص: ٧٧].

ولذلك كان المؤمن أطيب الناس عيشاً، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وكان الكافر بخلافه: أخبث الناس حياةً، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].



المبحث الرابع: أثر صحّة التصوّر واستقامة السلوك في بناء شخصيّة المسلم

توطئة: معنى (شخصيّة المسلم)، وكيفية ابتنائها.

(الشخصيّة) لفظٌ حادثٌ، وهو مصدرٌ صناعيٌّ، منسوبٌ إلى (الشخص)، والمراد به هنا: الذات؛ فالشخصيّة إذاً هي الصفات النفسيّة المشكّلة للذات، وتشمل ما تمتاز به من مبادئ وأخلاق.

وشخصيّة المسلم هي الصورة التي أَرادها الله - عزّ وجلّ - له. وقد شرع - جلّ ثناؤه - الدين الإسلاميّ بحيث يَصُوغ شخصيّة المسلمين، وذلك بترسيخ العقائد الأصليّة والقواعد الإيمانيّة، والتذكير بها لتعتَمَل في قلب المسلم، ثمّ تظهر في صورة امتثال المأمور وترك المحظور، وذلك بالقول الطيّب والعمل الصالح، واجتناب الفُحش والكذب والظلم والردائل.

وبذلك تستوي شخصيّة المسلم، ويكون مثلاً يُحتذى، ويُرغّب غيره في دينه: الذي أدّاه إلى صورته الحسنه التي هو عليها.

وكلّ من تخيل في نفسه الشخصيّة السويّة: التي يَجْمَل صاحبها، ويرغّب الناس في الاقتداء به، فلن يجد صورةً لها أبلغ ولا أحسن من صورة المسلم إذا لَزِم دينه واستقام عليه، ولا غرّو؛ فهو حينئذٍ تربية القرآن وتركيبته.

وفي المطالب التالية مزيد تحقيقٍ وبسطٍ لهذه المعاني، وبالله التوفيقُ.



المطلب الأوّل: تأثير صحّة التصوّر في بناء شخصيّة المسلم.

صحّة تصوّر المسلم الناشئة من صحّة إيمانه وقوّته - ركنٌ متينٌ من شخصيّته، وعليه تُبنى كثيرٌ من تصرّفاتِه ومواقفه.

وذلك أنّ هذا التصوّر الصحيح - كما مرّ - يتضمّن معرفة الحكمة من الخلق، والبصيرة بوظيفة الإنسان في الحياة، ويجعل الإيمان معياراً يُقاس به الحقّ والباطل، ولكلّ واحدٍ من هذه المكوّنات الثلاثة أثره في بناء شخصيّة المسلم متّزناً سليماً.

فأمّا الأوّل، فإنّ التصوّر الصحيح للحكمة من الخلق يُبَصِّر المسلم بحقيقة الحياة، ويُنفذ بصيرته في مقاصدها وغاياتها، ويجعل رؤيته فيها واضحة: يعرف منشأه، وما يكون بعد

الموت، وما يصير إليه بالإيمان والعمل الصالح، وبذلك يطمئن قلبه، وتسكن نفسه، ويستقيم سعيه في حياته.

وأما الثاني، فإنّ تصوّر المسلم لوظيفته في الحياة يُحمّله رسالة عظيمة، من تركية نفسه أولاً، وجهاد الهوى، وسدّ مداخل الشيطان، ثمّ دعاء الناس إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا يوضّح للمسلم أهدافه، ويزيد عزمه على بلوغها، ويُرتّب له أوليّاته؛ فلا يتخبط في سيره، ولا يتردّد.

وأما الثالث، فإنّ مرجعيّة الحقائق الإيمانيّة في قلب المسلم تُصحّ نظره وفكره، بحيث ينطلق في استدلاله من مبادئ راسخة، يعتمد عليها، ويّزن بها غيرها؛ فتستقيم علومه ومعارفه، وما يستحسنه وما يستقبحه، وينجو من شبّاك العدميّة والعشوائيّة، ومن شكوك النسبيّة والحيرة. وأيضاً، فالتصوّر الإيمانيّ يكشف للإنسان حقيقة الدنيا، ويُزيل عنها زُخرفها، وما يفتن غيره بها؛ فتكون من نفسه حيث يليق بها؛ فلا يتعلّق بها، ولا تزلّ قدمه في طلبها من جهة الحرام: الذي ينتهي به إلى غضب الله وعقابه.

ولهذا الوازع الداخليّ أثر عظيم في أقوال المسلم وأفعاله، وفي استمراره على خلقه وكرمه في خلّواته، وفي ثباته على مبادئه مع تغير الأحوال وتزّين المطامع. وبكلّ ذلك يُعرّف تأثير الإيمان في بناء شخصيّة المسلم من خلال تصحيحه لتصوراته، التي تصوغ منهجه في حياته، وترسم تصرفاته.



المطلب الثاني: تأثير سلامة السلوك في بناء شخصيّة المسلم.

تقدّم أنّ الإيمان يُقوّم سلوك المسلم في أقواله وأفعاله على مقتضيات الفطرة السليمة والأخلاق الحميدة، وذلك على وفق ما شرع الله من فعل المعروف وترك المنكر. وبذلك يكون المسلم خيراً حيث حلّ، متجملاً بأحسن الأخلاق، وهو عبادة الله وتوحيده، نافعا لمن حوله من الناس، مباركاً على مجتمعه، متّزناً في نفسه، غير متجانفٍ إلى طرفٍ من غلّ أو تفريط.

وهو في ذلك كلّه يتّبع مراد الله، ويتّهج دينه، ويطلب رضوانه، ويرجو ثوابه.

وذلك يحمله على كلّ فضيلة، ولو لم يَجِن منها مصلحةً دنيويّة، ويَصُدّه عن كلّ رذيلة، ولو تعلّق بها هواه، أو دعاه إليها شيطانٌ من شياطين الإنس والجنّ. ومن ذلك - مثلاً - أنّ النبيّ - صَلَّى الله عليه وسلّم - قال: «الإيمان قَيْدُ الْفَتَكِ، لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ»،^(١) والْفَتَكُ نوعٌ مِنَ الْغَدْرِ، وهو خلقٌ ذميمٌ، فالإيمان يَصُدُّ الْمُسْلِمَ عنه، وَيَعْلُ يَدَهُ عَنِ التَّلَوُّثِ به، وهكذا يقال في كلّ رذيلة: فالإيمان يَحْجِزُ الْمُسْلِمَ عنها، ويمنعه منها.



المطلب الثالث: استواء شخصيّة المسلم وحُسن صورته.

شخصيّة المسلم التي يقتضيها إيمانه - كما سبق تصويرها - هي الصورة التي أرادها الله في شريعته.

وهي كرامةٌ للإنسان، تزكو بها نفسه، وتَطْهَرُ مِنَ الرِّذَائِلِ والقَبَاحِ، ويَحْسُنُ بها عمله، ويسلم مِنَ الظُّلْمِ والْفُسَادِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]، أي: نِعْمَ مَا يَعِظُكُمْ بِهِ، وهو القرآن،^(٢) وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة]، قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «ضياءٌ مِنَ الضَّلَالَةِ»،^(٣) وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، قال الحسن البصريّ: «رحمةٌ من أمرنا». ^(٤)

ولذلك وصف الله كتابه بـ(النعمة)، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى]، قال مجاهدٌ: «بالقرآن»،^(٥) وقال الكلبيّ: «كان القرآن أعظمَ ما أنعم الله به عليه». ^(٦)

فالإيمان - بحقائقه التي تُصَحِّحُ التَّصَوُّرَ، وبتزكياته التي تقوّم السلوك - يبني الإنسان أحسنَ بناءٍ، بحيث يصلح في نفسه، ويكون مثلاً لغيره.



(١) أخرجه أبو داؤدَ (٤: ٥٦٣)، وصَحَّحه

الألبانيّ في "صحيح الجامع" (١: ٥٤١)،

أي: بشواهده.

(٢) انظر "الوجيز" (ص ٢٧٠).

(٣) انظر "البيوط" (٧: ٣١١).

(٤) أخرجه الطبريّ (٢٠: ٥٤٢).

(٥) حكاه الواحديّ في "البيوط" (٢٤: ١١٦).

(٦) حكاه الواحديّ في "البيوط" (٢٤: ١١٦).

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله، وصحبه، ومن اقتفى أثره. أما بعدُ، فإنَّ الله - تبارك وتعالى - قد أكرم الناس أئمةً كرامَةً ببعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - بدين الإسلام العظيم؛ فجاءهم بمنهج متكاملٍ، يهذب النفس، ويحفظ العقل، ويقوم السلوك، ويصلح الأقوال والأعمال، وينتهي بالتمسك به إلى طيب العيش في الدنيا، والفوز بالجنة والرضوان في الآخرة.

وهذه الجملة - وإن كانت معلومةً من دين الإسلام بالضرورة - فقد تبينت في مسائل هذا البحث بالتفصيل، وتحققت بالتدليل؛ فحق المسلم حينئذٍ أن يعرف لنعمة الإيمان قدرها، وأن يتمسك بالشرعية الإسلامية جهده؛ فإن فيه كرامته وفلاحه.

أهم النتائج:

هذا، وقد ظهرت في هذا البحث نتائج مهمة، توضح موضوعه، وتؤكد أهدافه، فأجلها هنا؛ تلخيصًا لمسائل البحث، وتنويهًا بمقاصده، وبالله التوفيق.

□ فمنها: ملازمة الإيمان بالله للمكونات النفسية للإنسان: من فطرة، وعقل، وأخلاق، فهي متهيئة لقبول الإيمان، ومتشوفة إلى تحقيقه، وهو مصلح لها، وجارٍ على مقتضياتها.

□ وأن الإيمان الشرعي محرك قوي للإنسان إلى العلم النافع والعمل الصالح؛ فيبتدئ بتشكيل مفاهيمه الأولية، ومبادئه الأصلية، ومن ثم يعلّق محبته بالحسن دون القبيح، ومن ثم يوجه إرادته إلى الخير والصلاح، ويصرفها عن الشر والفساد؛ ليثمره بعد كل فضيلة، ويجنبه كل رذيلة.

□ وأن الإيمان بتضمّنه للاعتقاد الحق - يُصحّ تصوّر المسلم لوجوده، وللطبيعة من حوله، حتّى يقف من كل شيء موقفًا حكيمًا، ناشئًا من علم، وقائمًا على عدلٍ، وهو مع ذلك عصمة له من العقائد الباطلة، والخرافات الفاسدة، التي تُبطل العقل أو تُضعفه.

□ وأن الإيمان بجريانه على قانون الأخلاق - يقوم سلوك المسلم؛ فيستقيم في أقواله وأفعاله، في معاملة ربّه جلّ جلاله، وفي معاملة الخلق على اختلافهم، حتّى في معاملة نفسه؛ فيؤدّي إلى كل ذي حقٍّ حقّه، بغير إفراطٍ ولا تفريطٍ.

□ وأن صحة التصوّر الناشئ عن العقائد الإيمانية الثابتة، واستقامة السلوك الناشئة عن الشرائع الإسلامية المحكّمة - تبني شخصية المسلم، وتكمل جوانبها، حتّى يستوي على كل

فضيلة، وحتّى تحجزه عن كلّ رذيلة، وهو يجري في ذلك على منهج واضح، ويقصد إلى أهداف سامية، ويتحرّك بدوافع ذاتية، تستمرّ معه في خلّواته.

□ وأنّ شخصيّة المسلم - التي شرّعها الله له، ورسم له ملامحها - هي أسمى ما تتصوّره النفوس السويّة من الكمال البشريّ، وغاية ما تستحسنه العقول من ذلك.

توصية:

وأختم هذا البحث بدعوة المختصّين والدارسين إلى الاجتهاد في إبراز محاسن الدين الإسلاميّ الحنيف، التي ترغّب من أدركها في الدخول فيه، والتزامه، والتي تكذب ما يلصّقه الأعداء به من الشناعات الباطلة.

هذا، والله أعلى وأعلم، وأجلّ ممّا نقول وأعظم.

والحمد لله على ما أعان وأنعم.

وصلّى الله وسلّم، وبارك وأنعم، على نبيّنا محمّد: من أتمّ الله به الدين، وختم.



وكتبه

فيصل بن سيّد محمّد القلاف

يوم الأربعاء ٢١ / ٥ / ١٤٤١، الموافق: ١٥ / ١ / ٢٠٢٠ م

في الكويت، حرسها الله، وسائر بلاد المسلمين، أمين

تَبَيَّنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزُّهري، مستفيداً من تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠)، مكتبة المعارف، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩.
- أصول السنة، للإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١)، تحقيق: د. محمد هشام طاهري، مشروع طباعة الكتب السلفية ٤٣، طبع على نفقة بعض المحسنين، العام الجامعي ١٤٣٣-١٤٣٤.
- أصول الفقه، لشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، ت ٧٦٣، حققه وعلق عليه وقدم له د. فهد بن محمد السدحان، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.
- تاج العروس من جواهر "القاموس"، لأبي الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي (ت: ١٢٠٥)، تحقيق ومراجعة: جماعة من الباحثين، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥-١٤٢٢.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبلي الأندلسي (ت: ٧٤١)، ومعه تقارير للشيخ عبد الرحمن البراك، تحقيق: علي بن أحمد الصالحي، دار طيبة الخضراء، بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٩.
- التفسير، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني المروزي (ت: ٤٨٩)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨.
- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت: ٤٦٨)، تحقيق مجموعة من الباحثين في رسائل علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أشرف على طباعته وإخراجه د. عبد العزيز بن سطاتر آل سعود، وأ.د. تركي بن سهو العتيبي، عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠.
- تفسير القرآن العظيم، لعلماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤)، تحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٢١.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١١)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.
- الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨)، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد ناشرون بالرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة جديدة منقحة ومزودة، ١٤١٥.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠.

- السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥)، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦.
- السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القرويني (ت: ٢٧٣)، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥.
- السنن، وهي الجامع الكبير، لأبي عيسى محمد بن عيسى السلميّ الترمذي (ت: ٢٧٩)، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥.
- شرح "العقيدة الأصفهانية"، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨)، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.
- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العزّ الدمشقي (ت: ٧٩٢)، حقّقه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه وقدم له د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة التاسعة، طبعة جديدة مصحّحة منقّحة، ١٤١٧.
- الصّاحح، تاج اللغة وصّاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣)، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور بن عطّار، دار العلم للملايين، ببيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩.
- الصحيح، وهو المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١)، تشرف بخدمته والعناية به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار المنهاج، بجدة، ودار طوق النجاة، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣.
- الصحيح الجامع، وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولا هم البخاري (ت: ٢٥٦)، تشرف بخدمته والعناية به: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.
- صحيح "الجامع الصغير" وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠)، المكتب الإسلامي، ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨.
- ظلال الجنة في تخريج السنة، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠)، المكتب الإسلامي، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠.
- القاموس المحيط، لأبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ببيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١)، دار صادر، ببيروت.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت: ١٣٩٢)، وساعده ابنه محمد (ت: ١٤٢١).
- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي (ت: ٧٤١)، بتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠)، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٢.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني (ت: ٥٠٢)، تحقيق: صفوان بن عدنان الداودي، دار القلم، بدمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢.
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي (ت: ٣٩٥)، تحقيق وضبط: عبد السلام بن محمد بن هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩.
- النبوات، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨)، تحقيق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة أضواء السلف، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت: ٦٠٦)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١.
- الوجيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨)، تحقيق: صفوان بن عدنان الداودي، دار القلم، بدمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥.



كشاف الآيات الكريمة

□ الفاتحة:

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦

□ البقرة:

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ٩

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ١٣

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ١٣

وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ١٨

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَانَكُمْ ٣

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ١٥

□ آل عمران:

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ ٧

□ النساء:

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ١٨

إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ٢٣

□ المائدة:

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ٢٣

□ الأنعام:

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ١٢

قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ١٢

□ الأعراف:

أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ١

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ٧

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ٤

□ يونس:

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي ١٦

□ يوسف:

وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ٣

□ إبراهيم:

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ٩

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ٨

وَمَثَلِ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٨

□ النحل:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ١٨

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَىٰ ٢٠

□ طه:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ٢٠

□ الأنبياء:

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ١٤

□ المؤمنون:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ١٢

□ الفرقان:

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ١٤

□ النمل:

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٤

صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ١٣

□ الفصص:

قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ٣

وَأَتَّبَعْنَا فِي مَا هَدَانَا اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ٢٠

□ العنكبوت:

فَأَمَّا مَنْ لَّهُ لُوطٌ ٣

أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ١٥

- | | |
|--|---|
| الملك: | الروم: |
| مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَلُّوتٍ ١٣ | فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ١٦ ، ٤ |
| النازعات: | الزُّمَر: |
| فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ١٢ | وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ١٤ |
| عَبَسَ: | فُصِّلَتْ: |
| قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ١٨ | سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ١٤ |
| الإنفطار: | الشورى: |
| يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ١٨ | وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ٢٣ |
| البلد: | الزخرف: |
| فَلَا أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ١٠ | وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ١٨ |
| الشمس: | الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ٣ |
| قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ١٩ | الذاريات: |
| الضحى: | وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ١٤ |
| وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ٢٣ | وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ١٢ |
| العاديات: | الحجرات: |
| إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ١٨ | إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٩ |
| قريش: | التحريم: |
| وَعَامَتُهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ٣ | يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسُكُمْ ١٩ |

كشاف الأحاديث النبوية الشريفة

- | | |
|--|--|
| <p>١٨..... أن كف المرء شره عن الناس صدقة</p> <p>١٩..... إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا</p> <p>٧..... إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق</p> <p>١٦..... أنه خطّ خطًا، وخطّ خطين عن يمينه</p> <p>١٩..... أنه ذكر رجلًا سقى كلبًا، فشكر الله له</p> <p>١٨..... ما شيء أثقل في ميزان المؤمن</p> <p>١٨..... المسلم من سلّم المسلمون من لسانه</p> <p>١٨..... المؤمن يألف ويؤلف</p> <p>١٦..... هذا سبيل الله</p> <p>١٦..... يا معشر القراء، استقيموا</p> | <p>١٤..... أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة</p> <p>١٨..... أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا</p> <p>٨..... ألا، إن في الجسد مضعة</p> <p>١٦..... إن الله ضرب مثلًا صراطًا مستقيمًا</p> <p>٩..... إن الله يحب معالي الأمور</p> <p>١٤..... إني والجن والإنس في نبي عظيم</p> <p>١٨..... خير الناس أنفعهم للناس</p> <p>١٩..... صدق سلمان</p> <p>١٩..... في كل كبد رطبة أجر</p> <p>٥..... كل مولود يولد على الفطرة</p> |
|--|--|



فهرس الموضوعات

١	المقدمة.....
٣	التمهيد: علاقة الإيمان بالمكونات النفسية للإنسان.....
٣	المطلب الأول: تعريف الإيمان في اللغة والشرع.....
٤	المطلب الثاني: تعريف الفطرة، وعلاقتها بالإيمان.....
٥	المطلب الثالث: تعريف العقل، وعلاقته بالإيمان.....
٦	المطلب الرابع: تعريف الأخلاق، وعلاقتها بالإيمان.....
٨	المبحث الأول: صياغة الإيمان لشخصية الإنسان.....
٨	المطلب الأول: كيفية تأثير الإيمان في صياغة الإنسان.....
٩	المطلب الثاني: معيارية الإيمان في النفس.....
٩	المطلب الثالث: غائية مقاصد الإيمان.....
١٠	المطلب الرابع: قوة الدافع الإيماني في العقائد والأعمال.....
١١	المبحث الثاني: أثر الإيمان في صحة التصور.....
١١	توطئة: معنى التصور، وفائدة صحته في تحقيق مقاصد الخلق.....
١٢	المطلب الأول: أثر الإيمان في صحة تصور الوجود.....
١٣	المطلب الثاني: أثر الإيمان في صحة تصور الطبيعة وقوانينها.....
١٤	المطلب الثالث: أثر الإيمان في سلامة التصور من الفساد.....
١٦	المبحث الثالث: أثر الإيمان في استقامة السلوك.....
١٦	توطئة: معنى الاستقامة، وأثرها في تحقيق مقاصد الخلق.....
١٧	المطلب الأول: أثر الإيمان في استقامة السلوك في معاملة الخالق.....
١٨	المطلب الثاني: أثر الإيمان في استقامة السلوك في معاملة الخلق.....
١٩	المطلب الثالث: أثر الإيمان في استقامة السلوك في معاملة النفس.....
٢١	المبحث الرابع: أثر صحة التصور واستقامة السلوك في بناء شخصية المسلم.....
٢١	توطئة: معنى (شخصية المسلم)، وكيفية ابتنائها.....
٢١	المطلب الأول: تأثير صحة التصور في بناء شخصية المسلم.....
٢٢	المطلب الثاني: تأثير سلامة السلوك في بناء شخصية المسلم.....
٢٣	المطلب الثالث: استواء شخصية المسلم وحسن صورته.....

٢٤.....	الخاتمة
٢٦.....	ثَبَّتَ المصادر والمراجع
٢٩.....	كشَّاف الآيات الكريمة
٣١.....	كشَّاف الأحاديث النبويّة الشريفة
٣٢.....	فهرس الموضوعات



تمّ بحمد الله